المبحث الثالث
مصر في الآثار الفقهية

ورد ذكر مصر في الأثار الفقهية كثيرة ، ومن هذه الأثار:

- قال عن مصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب– ﷺ – : « **إنَّ أرضها واسعة رفيعة ، وقد أعطى الله أهلها جلداً ، وقوَّةً في بر وبحر**»[1] .

- وقال فيهم عمرو بن العاص– ﷺ – : « **ولاية مصر تعدل الخلافة** »[2] .

وقال – أيضاً – ﷺ – : « **مصر أطيب الأرضين ترابا ، وعجمها أكرم العجم نصابا** »[3].

- وقال عنهم عبد الله بن عمرو بن العاص[4]– ﷺ–:« **أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداً ، وأفضلهم عنصراً ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة، وبقُريش خاصّة ومن أراد أن يذكر الفردوس ، أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى**

(1) المسالك والممالك ج1ص504.

(2) المسالك والممالك ج1ص505.

(3) المقاصد الحسنة ج1ص609ح1027– كشف الخفاء ج2ص248.

(4) عَبْد الله بن عَمْرو(7 ق هـ – 65 هـ = 616 – 684 م)عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش: صحابي، من النساك. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. فاستأذن رسول الله ﷺ في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. وكان كثير العبادة حتى قال له النبي ﷺ إن لجسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا . وكان يشهد الحروب والغزوات. الاعلام ج4ص111.

أرض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها »[1].

- وروي أن عبد الرحمن بن غنم الأشعري[2] قدم من الشام إلى عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله : ما أقدمك إلى بلادنا ؟ قال: أنت ، قال: لماذا ؟ قال: كنت تحدّثنا أن مصر أسرع الأرضين خرابًا ، ثم أراك قد اتخذت فيها الرباع ، وبنيت القصور ، واطمأننت فيها . قال : إن مصر قد أوفت خرابها، دخلها بخت نصر، فلم يدع فيها إلا السباع والرباع ، وقد مضى خرابها ؛ فهي اليوم أطيب الأرض ترابًا ، وأبعدها خرابًا ، ولن تزال فيها بركة ما دام في شيء من الأرضين بركة »[3] .

- وروي عن عبد لله بن عمر- ﷺ - أنه قال : لما خلق الله آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها ، وسهلها وجبلها ، وأنهارها وبحارها ، وبناءها وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك. فلما رأى مصر رأى أرضًا سهلة ، ذات نهر جار ، مادته من الجنة ، تنحدر فيه البركة ، وتمزجه الرحمة ، ورأى جبلًا من جبالها مكسوا نورًا ، لا يخلومن نظرالرب إليه بالرحمة ، في سفحه أشجار مثمرة، فروعها في الجنة ، تُسقى بماء الرحمة . فدعا آدم في النيل بالبركة ، ودعا في مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات. وقال : يأيها الجبل المرحوم ، سفحك جنة ، وتربتك مسك ، يدفن فيها غراس الجنة ، أرض حافظة مطيعة رحيمة ، لا خلتك يا مصر بركة، ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك

(1) النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة ج1ص29.- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج1ص18- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص48.

(2) عبد الرحمن بن غَنْم(000 - 78 هـ = 000 - 697 م)عبد الرحمن بن غنم بن كريز الأشعري: شيخ أهل فلسطين، وفقيه الشام، في عصره. ولد في حياة النبي ﷺ وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها. وكان كبير القدر، قال أبو مسهر الغساني: هو رأس التابعين. الأعلام ج3ص322.

(3) حسن المحاضرة للسيوطى ج1ص18- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص49.

ملك وعز، يا أرض فيك الخباء والكنوز، ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلًا، كثر الله زرعك ، ودر ضرعك ، وزكى نباتك ، وعظمت بركتك وخصبت ؛ ولا زال فيك الخير ما لم تتجبري وتتكبري ، أو تخوني وتسخري ، فإذا فعلت ذلك عراك شر، ثم يعود خيرك(1).

فكان آدم – عليه السلام – أول من دعا لها بالبركة والنماء والخير.

وروي عن عبد الله بن سلام(2)، قال: مصر أم البركات، تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب ، وإن الله يُوحي إلى نيلها في كل عام مرتين ؛ مرة عند جريانه ، فيوحى إليه : إن الله يأمرك أن تجري كما تؤمر، ثم يوحى إليه ثانية : إن الله يأمرك أن تفيض حميدًا ، فيفيض . وأن بلد مصر بلد معافاة وأهلها أهل عافية ، وهي آمنة ممن يقصدها بسوء ، من أرادها بسوء كبه الله على وجهه ، ونهرها نهر العسل ، ومادته من الجنة ، وكفى بالعسل طعامًا وشرابًا(3).

وروي عن ابن عباس(4) رضي الله عنهما: أن نوحا – عليه السلام – دعا لمصر بن بيصر بن حام فقال: « اللهمّ إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض المباركة التي هي

(1) حسن المحاضرة ج1ص20.

(2) عبد الله بن سَلَام (000 – 43 هـ = 000 – 663 م)عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه « الحصين « فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيه الآية: « وشهد شاهد من بني إسرائيل » والآية « ومن عنده علم الكتاب « وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. الاعلام ج4ص90

(3) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج1ص21.

(4) ابن عبَّاس(3 ق هـ – 68 هـ = 619 – 687 م)عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل.ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغيرهما 1660 حديثا. الأعلام ج4ص95.

أم البلاد ، وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض ، وذللها لهم وقوّهم عليها[1].

وعن أبي بصرة الغفاري[2] أنه قال: مصر خزائن الأرض كلها، وسلطانها سلطان الأرض كلها، ألا ترى إلى قول يوسف : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ»[3]، ففعل فأغيث بمصر، وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع الأرضين[4].

وروي إنه كتب في التوراة : « مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى »[5].

يروى عن كعب الأحبار[6]: مصر بلد معافاة من الفتن من أرادها بسوء كبه اللَّه على وجهه[7].

وروي - أيضا – عن كعب الأحبار: لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت

(1) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص40.

(2) أبو بصرة الغفاري.صحب النبي - ﷺ - ونزل مصر ومات بها ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر.الطبقات الكبرى ج7ص346.

(3) يوسف 55.

(4) كشف الخفاء ج2 ص249- المقاصد الحسنة ج1ص610-حسن المحاضرة ج1ص21.

(5) كشف الخفاء ج2 ص249- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص51- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ج1 ص178ح371.

(6) كَعْب الأَحْبار(000 - 32 هـ = 000 - 652 م) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين الأعلام ج5ص228

(7) المقاصد الحسنة ج1ص609 - الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ج1 ص178ح371.

إلا مصر فقيل له : لم ؟ فقال : لأنها بلد معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء أكبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك لأهله فيه(1).

وروي – أيضا – عن كعب الأحبار أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى مصر إذا أزهرت»(2).

وقيل: إن يوسف – عليه السلام – لما دخل إلى مصر، وأقام بها قال: اللهم إني غريب فحببها إليَّ وإلى كل غريب ؛ فمضت دعوة يوسف، فليس يدخلها غريب إلا أحب المقام بها (3).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال: البركة عشر بركات ؛ ففي مصر تسع ، وفي الأرض كلها واحدة ؛ ولا تزال في مصر بركة أضعاف ما في جميع الأرضين(4).

وعن أبي موسى الأشعري(5)– رضي الله عنه –، قال:

«أهل مصر الجند الضعيف ، ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته ». قال تُبَيع بن عامر الكلاعي(6)رضي الله عنه: فأخبرت بذلك معاذ بن جبل(7)رضي الله عنه ، فأخبرني أن بذلك

(1) حسن المحاضرة ج1ص21 – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص51–.
(2) حسن المحاضرة ج1ص18 – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1ص48.
(3) حسن المحاضرة ج1ص22.
(4) نفس المصدر ج1ص22.
(5) أبومُوسى الأشْعَري (21 ق هـ – 44 هـ = 602 – 665 م)عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب ، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله ﷺعلى زبيد وعدن. الأعلام ج4ص114.
(6) تبيع بن عامر الكلاعي من ألهان يكنى أبا غطيف ناقلة من حمص توفي بالإسكندرية سنة إحدى ومائة تاريخ دمشق ج11ص35ح989.

أخبره رسول الله -ﷺ-(1).

وروي أن : بلد مصر بلد معافات من الفتن ، لا يريدهم أحد بسوء إلا صرعه الله ، ولا يريد أحد هلكهم إلا أهلكه(2).

وروي عن الليث بن سعد(3) قال: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك وقال: أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ، ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها ؟ فسأله ، فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب أن فيها غراس الجنة، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء(4).

(1) معاذ بن جبل(20 ق هـ - 18 هـ = 603 - 639 م) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ. أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺبينه وبين جعفر بن أبي طالب.وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .الاعلام ج7ص258.

(2) المقاصد الحسنة ج1ص609 ح1027- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ج1 ص178ح371- حسن المحاضرة ج1ص22- كشف الخفاء ج 2ص249.

(3) حسن المحاضرة ج1ص22 .

(4) اللَّيْث بن سَعْد(94 - 175 هـ = 713 - 791 م) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهميّ: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. قال ابن تغري بردي: « كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته ». أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد.الأعلام ج5ص248.

(5) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج1ص137- كنز العمال ج5 ص708 ح14227.

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز[1] قاضي العراق : سألت أحد ولاة مصر عن مصر قال : كشفتها ، فوجدت غامرها أضعاف عامرها ، ولو عمرها السلطان لوفت له بخراج الدنيا .قال: وقلت : كيف عمرت ولاية مصر حتى عقدت على مصر تسعين ألف ألف دينار مرتين كما مر؟ قال : في الوقت الذي أرسل فرعون بويبة قمح إلى أسفل الأرض والصعيد فلم يوجد لها موضع تُبذر فيه لشغل سائر البلاد بالزرع[2].

وعن يزيد بن أبي حبيب[3]: أن معاوية بن أبي سفيان[4] ﷺ سأل كعب الأحبار: هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا ؟ قال: أي والذي فلق البحر لموسى إني لأجده في كتاب الله إن الله يوحي إليه في كل عام مرّتين يوحي إليه عند جريته أن الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له، ثم يوحي إليه بعد ذلك يا نيل

(1) عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي من أهل البصرة أخذ العلم عن أبي بكر القمي وشيوخ البصرة وولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من بغداد . طبقات الفقهاء: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476هـ) هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: 711هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1970 ج1ص141.

(2) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج1ص29.

(3) يَزِيد بن أَبي حَبِيب(53 – 128 هـ = 673 – 745 م)يزيد بن سويد الأزدي بالولاء، المصري، أبو رجاء: مفتي أهل مصر في صدر الإسلام، وأول من أظهر علوم الدين والفقه بها. قال الليث: يزيد عالمنا وسيدنا. كان نوبيا أسود. أصله من دنقلة. وفي ولائه للأزد، ونسبته إليهم، وكان حجة حافظا للحديث الأعلام ج8ص148.

(4) معاوية بن أبي سُفْيَان (20 ق هـ – 60 هـ = 603 – 680 م) معاوية بن (أبي سفيان) صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحا حليما وقورا الأعلام ج7ص261.

عد حميدا[1].

وروي عن عن ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج[2] ، قال: لما فتح عمرو بن العاص ﷺ مصر، أتى أهلها إليه حين دخل بؤونة من أشهر العجم ، فقالوا له : أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها ، فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عَمَدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك بطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي . فلما قدم الكتاب على عمرو، فتح البطاقة فإذا فيها :من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك ، فلا تجر، وإن كان الواحد القهار يجريك ، فنسأل الله الواحد القهارأن يجريك .والخروج منها ؛ لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا، وقد زالت تلك السنة السوء عن أهل مصر[3].

وروي عن الليث بن سعد، أن عمرًا جبى مصر اثني عشر ألف ألف، وجباها

(1) الطيوريات: صدرالدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني ت: 576هـ): مكتبة أضواء السلف، الرياض الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م ج3ص1098ح1017- المواعظ والاعتبار بذكرالخطط والآثارج1ص95.

(2) قيس بن الحجاج بن خلي الكلاعي الحميري المصري وثقه ابن حبان - حسن المحاضرة ج1ص277.

(3) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج3ص354- كنز العمال ج12ص560ح 35759.

المقوقس قبله سنة عشرين ألف ألف، فعند ذلك كتب إليه عمر بن الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص. سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد ؛ فإني فكرت في أمرك والذين أنت عليه، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عددًا وجلدًا وقوة في بر وبحر ، وأنها قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها عملًا محكمًا ، مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك ؛ وأعجب مما أعجبت ، أنها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب ؛ ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج ، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إليَّ ذلك ؛ فإذا أنت تأتيني بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذي في نفسي؛ ولست قابلًا منك دون الذي كنت تُؤخذ به من الخراج قبل ذلك . ولست أدري ما الذي أنفرك من كتابي وقبضك ! فلئن كنت مجزئًا كافيًا صحيحًا ، إن البراءة لنافعة ، ولئن كنت مضيعًا نطفًا إن الأمر لعلى غير ما تُحدث به نفسك. وقد تركت أن أبتغي ذلك منك في العام الماضي في رجاء أن تفيق فترفع إليَّ ذلك ؛ وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك عمال السوء، وما توالس[1] عليه وتلفف؛ اتخذوك كهفًا. وعندي بإذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك عنه؛ فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه؛ فإن النهر يخرج الدر، والحق أبلج، ودعني وما عنه تتلجلج، فإنه برح الخفاء. والسلام[2].

فكتب إليه عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير

(1) تناصروا في خديعة المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية دار الدعوة بدون طبعة وتاريخ ج2ص1056.

(2) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج3ص354 - كنز العمال ج12ص560ح 35759.

المؤمنين من عمرو بن العاص؛ سلام عليك، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج، والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبل ، وإعجابه من خراجها على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام . ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر، والأرض أعمر؛ لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام. وذكرت بأن النهر يُخرج الدر، فحلبتها حلبًا قطع ذلك درها. وأكثرت في كتابك، وأنبت، وعرضت وثربت ؛ وعلمت أن ذلك عن شيء تُخفيه على غيرخبر؛ فجئت لعمري بالمفظعات المقذعات ؛ ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق. وقد علمنا لرسول الله ﷺ ولمن بعده ؛ فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا، نرى غير ذلك قبيحًا، والعمل به سيئًا، فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا. معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجتراء على كل مأثم ؛ فاقبض عملك ؛ فإن الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضًا «ولم» تكرم فيه أخًا. والله يابن الخطاب؛ لأنا حين يُراد ذلك مني أشد لنفسي غضبًا، ولها إنزاهًا وإكرامًا. وما عملت من عمل أرى عليَّ فيه متعلقًا ؛ ولكني حفظت ما لم تحفظ ؛ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت -يغفر الله لك ولنا- وسكت عن أشياء كنت بها عالمًا ؛ وكان اللسان بها مني ذلولًا ؛ ولكن الله عظم من حقك ما لا يُجهل. والسلام.

فكتب إليه عمر بن الخطاب :

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ؛ سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد عجبت من كثرة كتبي إليك في إبطائك بالخراج وكتابك إلي ببنيات الطرق ؛ وقد علمت أني لست أرضى منك إلا بالحق البين ؛ ولم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طُعمة ولا لقومك ؛ ولكني وجهتك لما رجوت من

توفيرك الخراج ، وحسن سياستك ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج ، فإنما هو في‌ء المسلمين، وعندي من «قد» تعلم قوم محصورون. والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمن الرحيم.

لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج، ويزعم أني أعند عن الحق، وأنكب عن الطريق؛ وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ؛ ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تُدرك غلتهم ؛ فنظرت للمسلمين ؛ فكان الرفق بهم خيرًا من أن يُخرق بهم ، فنصير إلى ما لا غنى بهم عنه. والسلام فلما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج ، كتب إليه : أن ابعث إليَّ رجلًا من أهل مصر؛ فبعث إليه رجلًا قديمًا من القبط ، فاستخبره عمرعن مصر وخراجها قبل الإسلام ، فقال: يا أمير المؤمنين، كان لا يُؤخذ منها شيء إلا بعد عمارتها، وعاملك لا ينظر إلى العمارة،، وإنما يأخذ ما ظهر له ؛ كأنه لا يريدها إلا لعام واحد، فعرف عمر ما قال ، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به(1).

(1) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ج1ص147- فتوح مصر والمغرب ج1ص185- المواعظ والاعتاربذكرالخطط والآثار ج1ص148.